الفصل الثالث

موقف الإمام القرافي من أهل الكتاب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مداخل.

المبحث الثاني: جهود الإمام القرافي في الرد على اليهود.

المبحث الثالث: جهود الإمام القرافي في الرد على النصارى.

المبحث الأول
مداخل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهل الكتاب مفهوم وتحديد.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب.

المطلب الثالث: طريقة أهل الكتاب في الطعن على الإسلام «دين- كتاب- رسول».

المطلب الرابع: منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب.

المطلب الخامس: القرافي بين التأثير والتأثر.

المطلب الأول
أهل الكتاب مفهوم وتحديد

جمهور العلماء على أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، ليس غير، وأنه إذا أطلق لفظ أهل الكتاب انصرف إليهم، فهو كالعلم بالغلبة عليهم.

يقول الإمام الرازي: في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، في المراد بأهل الكتاب قولان:

القول الأول -وعليه الجمهور-: «أن المراد بأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام»(١).

وذكر الإمام الشافعي: أن المراد بأهل الكتاب هم بنو إسرائيل الذين أنزلت عليهم التوراة والإنجيل(٢).

ويذهب الأحناف إلى غير ذلك؛ إذ يرون أن كل أمة تؤمن بنبي من الأنبياء، وبكتاب من الكتب الإلهية تعد من أهل الكتاب، وليس كونها من اليهود والنصارى شرطًا في ذلك، فلو كانت أمة من الأمم تؤمن بصحف إبراهيم -عليه السلام- أو الزبور؛ لكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب(٣).

يقول الإمام الزيلعي: «واعلم أن من اعتقد دينًا سماويًّا، وله كتاب منزل كصحف إبراهيم، وشيث وزبور داود، فهو من أهل الكتاب»(٤).

---

(1) التفسير الكبير (٨/ ١٦٤).

(2) ينظر: الأم، للشافعي (٥/ ٨)، دار الفكر. بيروت. بدون تاريخ.

(3) الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، د. ماجد عبد السلام (ص٢٨)، ط/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(4) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لابن عابدين (٣/ ٥٠)، دار الفكر، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.

وهذا الرأي مال إليه الشهرستاني، إذ اعتبر أن المجوس من أهل الكتاب؛ لأن صحف إبراهيم كانت منزلة عليهم، ثم رفعت لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد، والذمام معهم[١].

وهذا هو الرأي الثاني الذي ذكره الإمام الرازي في المراد بأهل الكتاب[٢].

لكن الراجح: أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦].

يقول ابن قدامة: «فأهل الكتاب: اليهود والنصارى، ومن دان دينهم... ومن عدا هؤلاء من الكفار فليس من أهل الكتاب، بدليل قول الله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ [الأنعام: ١٥٦]»[٣].

ولذلك: إذا أطلق هذا اللفظ في القرآن الكريم لم يرد به إلا اليهود والنصارى.

---

(1) الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٠٨)، شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط/ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(2) التفسير الكبير (٨/ ١٦٤).

(3) المغني، لأبي عبد الله محمد بن قدامة (١٠/ ٥٥٨)، دار الفكر. بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٥ هـ.

يقول الشهرستاني: «أهل الكتاب: الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا إلى قسمين: من له كتاب محقق، مثل: التوراة، والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب، وإلى من له شبهة كتاب مثل: المجوس والمانوية»[1].

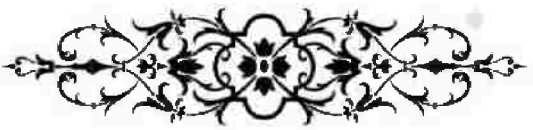

(1) الملل والنحل: (١/ ٢٠٨).

obeikandi.com

المطلب الثاني
منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب

احتوى القرآن الكريم أفضل الأساليب، وأحكم المناهج، وأقوى الحجج في جداله مع أهل الكتاب، وما ذلك إلا لأنه «اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة، وتقسيم، وتحذير، يبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية، إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق المتكلمين»[(١)].

والقرآن الكريم في حواره مع أهل الكتاب دار في محورين:

الأول: أنه بين أهداف حواره معهم.

والثاني: أنه انتهج مناهج اعتمدها في حواره معهم.

أولاً: أهداف محاورة القرآن الكريم لأهل الكتاب:

١- الحوار معهم لأجل دعوتهم إلى الإسلام بإقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد أرسل الرسول ﷺ الكتب إلى ملوك أهل الأرض -ومنهم أهل الكتاب تلبية لأمر الله تعالى- يدعوهم إلى الإسلام[(٢)].

٢- الحوار معهم لبيان ما هم عليه من الباطل، سواء بإثبات تحريفهم

---

(1) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ص٤٨٩)، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.

(2) الحوار مع أهل الكتاب، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة د. خالد عبد الله القاسم، دار/ المسلم، الرياض. ط/ الأولى، ١٤١٤هـ.

لكتبهم، أو انحرافهم عن مناهج الأنبياء، أو إشراكهم بالله تعالى؛ وذلك لإقامة الحجة عليهم، ولإظهار باطلهم للمؤمنين؛ ليحذروا منه ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وإذا تبين باطلهم قامت الحجة عليهم، وكان دافعًا لهم للتوجه إلى الإسلام[1]، والآيات القرآنية المبينة لانحراف أهل الكتاب كثيرة، وسيرد كثير منها في مناهج محاورة القرآن الكريم لهم.

٣- الحوار معهم للرد على شبهاتهم، وطعنهم في الإسلام؛ ليظهر الحق، ويدحض الباطل، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الهدف فذكر شبهات الكفار من أهل الكتاب، ورد عليها بأوضح برهان، وهذا من الحكم في نزول القرآن الكريم مفرقًا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير: «﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ بحجة أو شبهة يلتمسون بها عيب القرآن والرسول، ولا بقول يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين، وأوضح، وأفصح من مقالتهم»[2].

ولا يخفى أن في الرد على الشبه دفعًا للطاعنين، وبيانًا للحائرين.

ومن الأمور التي أورد أهل الكتاب حولها شبهًا، وأجاب القرآن الكريم عنها: طعنهم في نبوة سيدنا محمد ﷺ، ودعواهم أن إبراهيم -عليه السلام- كان

---

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) يراجع: تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٣/ ٣٢٧، ٣٢٨)، دار/ مصر، بدون تاريخ.

يهوديًّا، أو نصرانيًّا، وغير ذلك مما سيأتي له مزيد بيان -إن شاء الله تعالى- في ذكر مناهج القرآن الكريم في مناقشتهم.

ثانيًا: مناهج القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب:

انتهج القرآن الكريم مناهج متعددة، وأساليب متنوعة في محاورته لأهل الكتاب؛ وذلك من أجل إقناعهم وإقامة الحجة عليهم، ومن هذه المناهج:

أ- القصص القرآني:

من الأساليب التي اتخذها القرآن الكريم طريقًا لإقناع أهل الكتاب: القصص؛ إذ قد يساق الدليل في قصة، ويأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها، فتصغى إليه الآذان، وتميل إليه النفوس، وترتاح إليه الأفئدة، وتتأثر بما فيه من عظات وعبر، وقد يكون موضوع القصة رجلاً مقدمًا عند أهل الكتاب، يدَّعون محاكاته في دينه، واتباعه في ملته، فيجيء برهان الله على لسانه، فيكون ذلك أكثر اجتذابًا لأفهامهم، وأقوى تأثيرًا في قلوبهم[1].

ومجيء الدليل ضمن خبر لرجل يعترف المجادل بفضله، يعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية؛ إذ تكون الحجة قد أقيمت عليه من جهتين: من جهة الدليل نفسه، ومن جهة أن الذي قاله رجل مقدم في نظره، يدعي أنه من أتباعه، فيلزم بقوله ويؤخذ برأيه[2].

ونذكر مثالاً لهذا المنهج، وهو قول الله تعالى في حواره مع أهل الكتاب: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى

(1) يراجع: تاريخ الجدل، للشيخ/ محمد أبو زهرة (ص٦٥)، دار/ الفكر العربي، بدون تاريخ، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٨٨).
(2) تاريخ الجدل (ص٦٦).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٢٢- ١٣٤].

وقد ذكر الإمام الرازي سبب ذكر قصة إبراهيم وفائدتها في محاورة أهل الكتاب فقال: «والحكمة فيه: أن إبراهيم -عليه السلام- شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون معترفون بفضله، متشرفون بأنهم من أولاده، وساكني حرمه، وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضًا مقرين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم -عليه السلام- أمورًا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه، والانقياد بشرعه، وبيانه من وجوه:

١- منها: أنه تعالى أمره ببعض التكاليف، فلما وفى بها وخرج عن عهدتها نال النبوة والإمامة، وفي هذا تنبيه لليهود والنصارى، والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

٢- ومنها: أن الحج من خصائص دين محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

٣- ومنها: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى، فبين الله سبحانه وتعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بتعظيمه، ووجوب الانقياد به، فكان ذلك مما يوجب زوال الغضب عن قلوبهم»[1].

(1) ينظر: التفسير الكبير (٤/ ٣١).

وفي القصة أيضًا:

أن إبراهيم -عليه السلام- دعا بخروج النبي ﷺ ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾، ثم قال بعدها: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ [البقرة: ١٢٩، ١٣٠]، فلا حجة لهم بترك متابعته.

وأيضًا: أن إبراهيم الذي يستشرفون بالنسبة إليه كان على الإسلام والتوحيد، كما كانت وصيته لأبنائه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وهكذا كان للقصة دورها البالغ في محاورة أهل الكتاب، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦][1].

ب- الأقيسة:

استخدم القرآن الكريم في محاورته لأهل الكتاب أنواعًا من الأقيسة؛ وذلك لما للقياس من أثر في إقامة الحجج على الخصوم، ومن هذه الأقيسة:

١- الأقيسة الإضمارية:

وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف، والحذف طريقة القرآن الكريم[2]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

---

(1) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٨٩)، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، د/ محمد سيد طنطاوي (ص١١٨)، دار الشروق، مصر، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٨)، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الحادية عشرة، ١٤١٨هـ.

ذكر الله تعالى هذه الآية دليلاً على إبطال بنوة عيسى -عليه السلام- كما تزعم النصارى، ولم يذكر في هذا الدليل سوى مقدمة واحدة، وهي مماثلة عيسى لآدم، وكان سياق الدليل هكذا:

آدم خلق من غير أبٍ كعيسى، فلو كان عيسى ابنًا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنًا باعترافكم، فعيسى ليس ابنًا أيضًا[1].

٢- قياس الأولى:

وهو أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل، والآية السابقة أشارت إلى هذا النوع من القياس، وتقديرها: أنهم إذا اتخذوا عيسى إلهًا؛ لأنه خلق من غير أبٍ، فآدم أولى؛ لأنه خلق من غير أبٍ ولا أمٍّ.

يقول سيد قطب: «إن ولادة عيسى -عليه السلام- حقًّا عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر. لكن آية غرابة فيها حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر، وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون في عيسى، ويجادلون بسبب مولده من غير أبٍ، كانوا يقرون بنشأة آدم من تراب، وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني، دون أن ينسجوا حوله الأساطير التي نسجوها حول عيسى، ودون أن يقولوا: إن له طبيعة لاهوتية كعيسى مع أن آدم أولى[2].

٣- قياس الشبه:

استخدمه القرآن الكريم في بيان مشابهة أهل الكتاب للمشركين عبدة

---

(1) يراجع: تاريخ الجدل (ص٦٤، ٦٥)، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩٠).

(2) يراجع: في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٤٠٤)، دار الشروق، بيروت، ط/ ١٣٩٣، ١٩٧٣م.

الأوثان، مع علمهم بفساد طريقة المشركين، وقد ذكر الله مشابهتهم لهم في نسبة الولد إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، كما ذكر مشابهتهم لهم في كفرهم بمحمد ﷺ وحقدهم عليه في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥][(١)].

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «ويجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر، وكلاهما كافر بالرسالة الأخيرة، فهما على قدم سواء من هذه الناحية، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن ولا يود لهم الخير»[(٢)].

جـ- التحدي والمباهلة:

إذا ظهر الحق واستبان، فإن التحدي والمباهلة من الأساليب النافعة في إظهار الحق، وإبطال الباطل.

وقد سلك القرآن هذا المنهج مع أهل الكتاب، ففي مَقام التحدي يقول لهم: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

«والنبي ﷺ كان يقرأ هذه الآية على أصناف الخلائق أمييهم وكتابيهم، وعربهم وعجمهم، ويقول: لن تستطيعوا ذلك، ولن تفعلوه أبدًا، فيعدلون معه

(1) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩١).
(2) في ظلال القرآن (١/ ١٠١).

إلى الحرب والرضا بالقتل»[(١)].

وفي مقام المباهلة -وهي نوع من التحدي- يقول الله تعالى في حواره مع أهل الكتاب: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، وهذه المباهلة كانت بين النبي ﷺ ونصارى نجران[(٢)]، والمباهلة مشروعة إلى يوم القيامة.

يقول ابن القيم: «إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد، أن ندعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ﷺ، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك»[(٣)].

د- إثبات أن دعواهم خالية من الحجة والبرهان:

وذلك لأن كثيرًا من دعاوى أهل الكتاب تنقصها الحجة، ويعوزها الدليل والبرهان، فيطالبهم الله سبحانه بتقديم الأدلة على دعواهم، وهم لا يملكون إقامة حجة، ولا تقديم أدلة، بل دعاويهم تعتمد على الخرص والتخمين، فتهوى أمام المطالبة بالدليل.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

---

(1) ينظر: بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (٤/ ٩٤٥، ٩٤٦)، ت/ هشام عبد العزيز عطاء، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط/ الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(2) يراجع: استخراج الجدال من القرآن الكريم، لابن الحنبلي (ص٦١)، ت/ محمد صبحي حسن، مؤسسة الريان، بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٣هـ، تاريخ الجدل (ص٥٤).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٢/ ٥٦١)، ت/ شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، ط/ الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

لما ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، ذكر الله تعالى أن هذا لا يعدو أن يكون أمنية، ثم طالبهم بالدليل فقال: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[1].

ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

يقول ابن القيم: «فهذه مطالبة لهم بتصحيح دعواهم، وترديد هذه المطالبة بين أمرين لابد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما، فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم: «لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة» خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذبًا، وإما أن يكون مستندًا إلى وحي من الله تعالى وعهد عهده إلى المخبر، وهذا إن كان موجودًا فليأتوا بدليل يصدقه... وإلا فهو منتفٍ، فتعين أن يكون خبرًا كاذبًا، قائله كاذب على الله تعالى»[2].

هـ- الاستدلال بنصوص كتبهم وبما يسلمون به:

احتج القرآن الكريم على أهل الكتاب بما يسلمون به من حقائق موجودة في كتبهم، وذلك تحقيقًا في إقامة الحق عليهم.

ومن ذلك أنه رغبهم في الإيمان بمحمد ﷺ، وأخبر عن وجود ذلك في كتبهم، فقال مادحًا من آمن منهم: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا

(1) يراجع: أدب الحوار في الإسلام، د/ سيد طنطاوي (ص١٨١، ١٨٢)، دار نهضة مصر، ط/ ١٩٩٧م.

(2) بدائع الفوائد (٤/ ٩٥٢).

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ...﴾ الآية. [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧][(١)].

وأيضًا:

احتج عليهم بذلك في بعض المسائل الفرعية، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

فإسرائيل -يعقوب عليه السلام- أخذه وجعُ العرقِ، فنذر لئن شفاه الله تعالى ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه على نفسه، وكان أحب ذلك إليه لحومَ الإبل وألبانها، فشفي، فوفى بنذره، وادعت اليهود أن ذلك كان حرامًا على نوح حتى انتهى الأمر إليهم، فبين الله تعالى بطلان دعواهم وأمرهم بأن يأتوا بالتوراة فيتلوها، فلم يجسروا على الإتيان بها[(٢)].

و- الاستدلال بلازم كلامهم:

ذكر الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، أن في الآية استدلالاً بلازم كلامهم، وذلك أنهم تواصوا باليهودية والنصرانية، وهذا معناه ترك النظر والأخذ بالتقليد، فأجابهم الله تعالى بأنه إذا كان لا بد من

---

(1) يراجع: استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص٥٨)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٨٧).

(2) يراجع: استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص٦٣)، الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص٧٩، ٨٠).

التقليد، فتقليد إبراهيم -عليه السلام- أولى؛ لأنهم متفقون على تعظيمه، ومختلفون في اعتبار أي الديانتين اليهودية والنصرانية، وذلك قوله: «اعلم أن الله تعالى لما بين الدلائل التي تقدمت في صحة دين الإسلام، حكى بعدها أنواعًا من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام.

الشبهة الأولى: حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ ولم يذكروا في تقرير ذلك شبهة، بل أصروا على التقليد، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه:

الأول: ذكر جوابًا إلزاميًّا، وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾، وتقرير الجواب:

أنه إن كان طريق الدين التقليد، فالأولى في ذلك اتباع ملة إبراهيم -عليه السلام-؛ لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم، والأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف إن كان المعول في الدين على التقليد، فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن كان المعول في الدين على الاستدلال والنظر، فقد قدمنا الدلائل، وإن كان المعول على التقليد، فالرجوع إلى دين إبراهيم -عليه السلام- وترك اليهودية والنصرانية أولى»[1].

وكثير -غير هذا- من ادعاءات أهل الكتاب يلزم منها أمور لا يقرونها، وقد حاجهم القرآن الكريم بذلك.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير، أنه لما نزلت ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: «**إن الله فرض على الناس حج البيت**

(1) التفسير الكبير (٤/ ٧٣)، وينظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص٢٣، ٢٠٤).

من استطاع إليه سبيلاً» فقالوا: لم يكتب علينا الحج، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧][(١)].

ز- إثبات تحريفهم لكتبهم:

يحاج القرآن الكريم أهل الكتاب مبينًا لهم التحريف الذي لحق بكتبهم؛ بسبب تقولهم على الله تعالى، ابتغاء لنيل ثمن قليل، فيقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ ...﴾ [النساء: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ...﴾ [المائدة: ١٣][(٢)]، وإذا خاطبهم القرآن بأنهم حرفوا ولم يعترضوا، فقد قامت عليهم الحجة، وثبت بذلك صحة الدعوى.

حـ- إثبات تناقضهم:

لما آمن أهل الكتاب كل بنبيه، رد عليهم القرآن الكريم بأن الإيمان بنبي دون غيره وقوع في التناقض، وأنه لا استقامة لمنهجهم إلا بالإيمان بمحمد ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ

---

(1) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٦).

(2) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٤٧٤- ٤٧٥)، تاريخ الجدل ٠ص٤٩)، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص٢٠٦).

أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: «اعلم أنه لما تكلم على طريقة المنافقين، عاد يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى، ومناقضاتهم، وذكر هنا من هذا الجنس أنواعًا:

النوع الأول من أباطيلهم: إيمانهم ببعض الأنبياء دون البعض... وإنهم إنما كانوا كافرين حقًّا لوجهين:

الأول: أن الدليل الذي يدل على نبوة البعض ليس إلا المعجز، وإن كان دليلاً على النبوة لزم القطع بأنه حيث حصل حصلت النبوة، فإن جوزنا في بعض المواضع حصول المعجز بدون الصدق، تعذر الاستدلال به على الصدق، وحينئذٍ يلزم الكفر بجميع الأنبياء، فثبت أن من لم يقبل نبوة أحد منهم لزمه الكفر بجميعهم»[(١)].

ويقول أيضًا: «إن الطريق إلى معرفة نبوة الأنبياء ظهور المعجز عليهم، ولما ظهر المعجز على يد محمد ﷺ وجب الاعتراف بنبوته والإيمان برسالته، فإن تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل... واليهود والنصارى لما اعترفوا بنبوة بعض من ظهر المعجز عليه، وأنكروا نبوة محمد ﷺ مع قيام المعجز على يده، فحينئذ يلزمهم المناقضة»[(٢)].

ط- إظهار سوابقهم مع أنبيائهم:

كان أهل الكتاب يرفضون رسالة محمد ﷺ؛ وخشية أن يؤثر موقفهم هذا

(1) التفسير الكبير (١١/ ٧٣، ٧٤).
(2) التفسير الكبير (٤/ ٧٥).

على البعض، بوصفهم أهل كتاب سابق، يطيل القرآن في بيان مخالفتهم لرسلهم، وتعنتهم، وعنادهم؛ وذلك ليظهر للرأي العام أن هؤلاء الرافضين لرسالة محمد ﷺ كانوا كذلك مع من سبقه من الرسل، فلا يضر رفضهم، ولا يدل على صحة ما عندهم[(١)].

يقول الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥]: في الآية إزالة شبهة من يقول: إن نبوة محمد ﷺ لو صحت لكان أولى الناس بالإيمان به أهل الكتاب؛ لما أنهم عرفوا خبره؛ وذلك لأنه تعالى بين أن أسلافهم مع مشاهدتهم الآيات الباهرة على نبوة موسى -عليه السلام- كانوا يرتدون في كل وقت ويتحكمون عليه ويخالفونه، فلا يتعجب من مخالفتهم لمحمد ﷺ»[(٢)].

والآيات التي بين القرآن الكريم فيها سوابق أهل الكتاب مع رسلهم كثيرة، منها: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١].

وأيضًا: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣].

ي- التسليم:

وهو أن يفرض المحال، ثم يسلم وقوع ذلك تسليمًا جدليًّا، ويدل على عدم

(1) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩٨).
(2) ينظر: التفسير الكبير (٣/ ٧٨).

فائدة ذلك على تقدير وقوعه لما يلزم عنه من محالٍ لم يقع.

وذلك كقوله تعالى في الرد على اتخاذ الله تعالى ولدًا، ووجود إله غيره يشاركه في الإلهية: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

والمعنى: ليس مع الله إله، ولو سلم أن معه إلهًا لزم من ذلك التسليم ذهابُ كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض وجود إلهين فصاعدًا محال، لما يلزم عنه من المحال(١).

ويبين الإمام القرطبي هذا المنهج في الآية كدليل على نفي الولد فيقول: «والتقرير ما اتخذ الله ولدًا -كما زعمتم- ولا كان معه فيما خلق إله، وإلا لانفرد كل إلهٍ بخلقه، ولحصلت المغالبة كالعادة بين الملوك، وهذا الذي يدل على نفي الشريك، يدل على نفي الولد أيضًا؛ لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك»(٢).

ك- الوعظ والتذكير:

إن أهل الكتاب لا تنقصهم الحقائق، كما لا يخفى عليهم الهدى، وإنما ينقصهم الإيمان، لذا نجد القرآن الكريم يعظهم ويذكرهم ليردهم إلى الحق، ولكي لا يبقى لهم حجة أو عذر. فتارة يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم، التي من الواجب أن تقابل بالشكر والإيمان، لا بالكفر والجحود، فيسرد النعم التي أنعم

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (ص٤٩٢).
(2) يراجع: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٣).

الله بها على بني إسرائيل ابتداء بتفضيلهم على العالمين، ومرورًا بإنجائهم من آل فرعون، وإغراق فرعون، وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل، وإحيائهم بعد موتهم، وتظليل الله عليهم الغمام، وإنزال المن والسلوى، وتفجير الأرض اثنتي عشرة عينًا، إلى غير ذلك من النعم(١).

فمن تذكيرهم بالنعم: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٢].

ومن تذكيرهم بعاقبة كفرهم وعصيانهم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

والقرآن في وعظه أهل الكتاب، تارة يستعمل أسلوب الترهيب؛ ليصرفهم عن الكفر والفسوق والعصيان، وتارة يستعمل أسلوب الترغيب؛ ليحملهم على الطاعة والصلاح(٢).

ل- الاستفهام الإنكاري:

وقد ورد هذا كثيرًا في القرآن الكريم في سياق محاورة أهل الكتاب، وهو أن ينكر عليهم أفعالهم المنكرة عن طريق الاستفهام، فلا يملكون جوابًا؛ لما تحويه هذه الأفعال من فساد يعرف بداهة بالفطرة، ولما تحويه من تناقض ومخالفة لما في كتبهم.

ومن هذه الاستفهامات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ

(1) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٩٢).
(2) يراجع: بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص١١٠).

بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠، ٧١].

وأيضًا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١].

وللاستفهام في الآية دوره الفعال في إيقاع الحرج بأهل الكتاب؛ وذلك لأن الذي يدعي إيثار شريعة والتمسك بها، ومدافعة غيرها يلزمه نصرة من يقوم عليها، ويدعو إلى سبيلها، فإن وقع خلاف ذلك منه فانقض على دعاتها، وبطش بهم، واستباح قتلهم، وسفك دماءهم، فهو إذًا عدو مجاهر، وخصم لا يهادن؛ لأنه أجنبي عن هذه الدعوى، فلا ينبغي له أن يدعي الانتساب إليها والسكون إلى حمايتها(١).

هذا، ولم يجنح القرآن الكريم في محاوراته لأهل الكتاب إلى استخدام لفظ يشعر بسوء أدب، بل استخدم الأسلوب الأمثل، والألفاظ التي حفظت لهم قدرهم.

فتراه دائمًا يناديهم: بـ«يا أهل الكتاب» «يا أيها الذين أوتوا الكتاب» «يا بني إسرائيل»، ولم يستخدم القرآن الكريم معهم لفظًا نابيًا، أو أسلوبًا جافيًا، بل رغبهم، وتودد إليهم، وهو في ذلك يعلمنا أنه إن دعت الحاجة إلى الحوار مع أهل الكتاب، فلا بد من التأسي بالقرآن الكريم في أسلوبه، والسير على منهجه.

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن ما سلكه القرآن الكريم في مجادلة أهل

---

(1) يراجع: على هامش الحوار بين القرآن واليهود، حسني يوسف الأطير (ص٨٥)، دار الأنصار، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. وأيضًا: تاريخ الجدل (ص٧٠)، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (ص١٨٥).

الكتاب فيه الإلزام المفحم، والحجة الناطقة، إذ أدحض حججهم، وأرشدهم المحجة، ووضع لهم الأعلام؛ ليسيروا على الجادة، ولا يحيدوا عنها.

وإذا كان هذا منهج القرآن الكريم في مناقشة أهل الكتاب، فما طريقة أهل الكتاب في طعنهم على الإسلام؟ وما منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب؟ هذا ما ندع المباحث القادمة تجيب عنه.

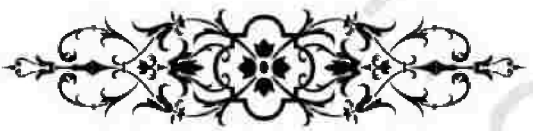

obeikandl.com

المطلب الثالث
طريقة أهل الكتاب في الطعن على الإسلام «دين- كتاب- رسول»

كان لجو التسامح الديني الذي عاشه اليهود والنصارى في ظل الإسلام أثر بالغ في أن يعبروا عن عقائدهم، وأن يحتجوا لها. ولما كان أهل الكتاب يسوؤهم انتقال النبوة لأبناء إسماعيل -عليه السلام-؛ مخافة أن يخضعوا لأحكامهم، أو ألا يكون لهم فضل في دولتهم، اتفقت كلمتهم على الكيد للإسلام وأهله.

وليس من المبالغة القول: إن أهل الكتاب لم يتركوا وسيلة من شأنها تعطيل سير الإسلام، إلا ولجوها، ولم تلح لهم بادرة يستطيعون من خلالها الطعن في الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه، إلا استغلوها لصالحهم.

ويمكن تحديد مواطن الطعن إجمالاً في الآتي:

- **محاولة إثبات أن دينهم هو الدين الصحيح وما عداه باطل.**
- **الطعن في نبوة سيدنا محمد ﷺ.**
- **الطعن في شخص النبي ﷺ.**
- **الطعن في القرآن الكريم.**
- **الطعن في دين الإسلام.**

ويسلك أهل الكتاب في طعنهم على الإسلام طريقتين، لا ثالث لهما:

١- خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر.

٢- جحد الحق وإخفاؤه حتى لا يظهر.

وقد استعمل أهل الكتاب الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام، فقد كان

بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبي ﷺ تأويلاً فاسدًا يخلط فيه بين الحق، والباطل؛ ليوهموا الناس أنه ليس هو النبي المنتظر، وكان بعضهم يلقي حول الحق شبهًا؛ ليوقع ضعاف الإيمان في حيرة وتردد، وكان بعضهم يخفي أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبي ﷺ، أو التي لا توافق أهواءهم[1].

يقول الإمام الرازي: «اعلم أن الساعي في إخفاء الحق لا سبيل له إلى ذلك إلا من وجهين:

إما بإلقاء الشُّبه التي تدل على الباطل.

وإما بإخفاء الدليل الذي يدل على الحق.

وقول الله تعالى: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [آل عمران: ٧١] إشارة إلى المقام الأول، وقوله تعالى: ﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١] إشارة إلى المقام الثاني»[2].

وفي سبيل أن يحقق أهل الكتاب ما يريدون أن يصلوا إليه من طعن في دين الله تعالى وصرف الناس عنه، انتهجوا مناهج عدة، منها:

أ- الاعتماد على الكتب المحرفة لديهم:

يقول الإمام نجم الدين الطوفي في كتابه «الانتصارات الإسلامية» -وقد ألفه في الرد على بعض النصارى في زمانه-: «إن هذا النصراني رأيته يعتمد في طعنه على الإسلام على التوراة المحرفة، والأناجيل التي بأيدي اليهود والنصارى، وعلى كتب الأنبياء الأوائل كنبوءة إشعياء، وإرمياء، ودانيال،

(1) أدب الحوار في الإسلام (ص١٩١).
(2) التفسير الكبير (٨/ ٨٢).

والأنبياء الاثنى عشر، ومزامير داود، وغيرها»[١].

وقد حرف أهل الكتاب من كتبهم اسم محمد ﷺ، ودلائل نبوته؛ وذلك لئلا يكون له حجة عليهم من كتابهم، وحرفوا مع ذلك أشياء مما جاء به محمد ﷺ عن وصفه الذي في التوراة؛ ليصير ذلك شبهة لهم في تكذيبه؛ ليقولوا ما نصنع به؟ لو وافق ما عندنا أو ذكر فيه آمنا به[٢].

يقول العلامة سيد قطب: «لقد بلغ من التوائهم، وسوء أدبهم مع الله عز وجل أن يحرفوا الكلم عن المقصود... وذلك لكي ينفوا ما فيها من دلائل على الرسالة الأخيرة، ومن أحكام وتشريعات يصدقها الكتاب الأخير، وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد»[٣].

وأهل الكتاب في تحريهم تعسفوا تعسفًا ممقوتًا، إذ غاب عنهم سياق العبارات الذي يربط النصوص بما قبلها وما بعدها، وكان ذلك في صالح المسلمين من ناحيتين:

- إثبات التحريف على أهل الكتاب، وإلا لو كان الكتاب منزلاً من عند الله تعالى، لجاء على نسق واحد مترابط العبارات والتراكيب.

- أنهم -وإن حذفوا أو بدلوا ما يدل على صحة الدين الإسلامي- فقد بقي السياق شاهدًا على صحته.

ومن أمثلة اعتمادهم على كتبهم المحرفة في طعنهم في النبي ﷺ قول بعض

---

(1) ينظر: الانتصارات الإسلامية، لنجم الدين الطوفي (ص٣٨)، ت/ د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكلية الأزهرية، بدون تاريخ.
(2) يراجع الانتصارات الإسلامية (ص٩٢).
(3) في ظلال القرآن (٢/ ٦٧٥).

أهل الكتاب بعد ذكر وصية عيسى -عليه السلام-: «احذروا أنبياء الكذب الذين يأتونكم بلباس الحملان -يعني: سمة الأبرار-، وزي العباد، باطنهم ذئاب خاطفة»[١].

«وقد رأينا نفاذ الأمر فيمن ادعى النبوة، فأظهر سمة الحملان، ثم عمل عمل الذئاب، فأمر بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس عامة، والتحريض على قتل من خالفه، والأمر بالقصاص والانتقام، ثم الأمر بالإكثار من النساء... ثم ما وصف الله به من الجور والفساد والظلم؛ إذ زعم أنه تعالى يهدي بعضًا ويضل بعضًا»[٢].

وأيضًا من أمثلة اعتمادهم على كتبهم المحرفة حمل البشارة بالنبي الخاتم ﷺ على عيسى -عليه السلام- ومن ذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل: «والآن أيها الإخوة... توبوا إلى الله، وارجعوا لكي تمحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم من قبل ... فإن موسى قال للآباء: إن نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لهذا النبي تباد من الشعب، وجميع الأنبياء أيضًا من صموئيل، فما بعده، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام»[٣].

وسيأتي الرد على ما ذكروه إن شاء الله تعالى في الفصل الأخير من البحث.

---

(1) إنجيل متى، الإصحاح السابع، الفقرات (١٥- ١٧).

(2) ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٤/ ٤٤٨)، الانتصارات الإسلامية (ص٤٦).

(3) سفر أعمال الرسل، الإصحاح (١٦)، الفقرات (١٨- ٢٥).

ب- محاولة ليِّ النصوص القرآنية وحملها على غير محملها إثباتًا أو طعنًا:

يحاول أهل الكتاب في إثبات عقائدهم، والطعن في ديننا حمل النصوص القرآنية على غير محملها الصحيح؛ وذلك ظنًّا منهم أن كتابنا ككتبهم، وهم في ذلك كانوا هزءة للهازئين، وسخرة للساخرين؛ إذ إنهم ينهجون نهجًا آخر يطعنون فيه في القرآن الكريم، وأنه لا يصلح أن يكون كتابًا من رب العالمين، أو ما دروا أنهم بذلك ناقضوا أنفسهم بأنفسهم؟!

ومن أمثلة استخدام أهل الكتاب هذا المنهج في مقام تأييد عقائدهم قول بعضهم:

يقول الله تعالى في سورة «الأنعام»: ﴿... لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ...﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ يعني: كلمات الله وهي التوراة والإنجيل، وفي سورة «الحجر»: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذكر هنا -كما يقول-: التوراة والإنجيل، ويشهد لذلك قوله تعالى في سورة «الأنبياء»: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وقد رد عليهم الطوفي البغدادي «بأنه فسر كلمات الله بالتوراة والإنجيل ليثبت؛ علينا بكتابنا أنها حجة لازمة لنا، وهيهات فدون المراد موانع، والذي يدل على أنه ليس المراد بكلمات الله تعالى هنا التوراة والإنجيل هو أن هذه الآية في سورة «الأنعام»، وسورة «الأنعام» كلها جدال، ومناظرة لعباد الأوثان الذين ينكرون البعث، ولا تعرض فيها لأهل الكتاب، إلا بطريق الاستشهاد بهم، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ...﴾ [الأنعام: ٢٠]، وليس الذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، هو التوراة والإنجيل بإجماع مفسري القرآن الكريم، بل هو القرآن الكريم، وأما اعتماده على: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧] فلا

حجة له فيه؛ لأن قبل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢]، والذكر هنا يعني القرآن الكريم بلا خلاف، فالذكر المراد هنا أيضًا هو القرآن بدليل المذكور أولاً»[(١)].

ومن أمثلة استخدام هذا المنهج في مقام الطعن قولهم:

القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح، فلا يكون من عند الله، وبيان اشتماله على ذلك ما ينقله المسلمون عنه من قول الله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ...﴾ [التحريم: ١٢].

ومريم ليست ابنة عمران؛ لأن عمران أبو موسى -عليه السلام-، وبين موسى ومريم -رضي الله عنها- نحو ستمائة سنة، فأين عمران من مريم حتى يكون أباها؟[(٢)].

وسيأتي الجواب عن هذه الشبهة عند ذكر شبهات النصارى على القرآن الكريم إن شاء الله تعالى.

د- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

إن كثيرًا من الأحاديث الموضوعة، والإسرائيليات، والأباطيل كانت ولا تزال مثار شُبهٍ، وتشكيك وطعون، وتجنيات على الإسلام، والقرآن، والنبي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد حمل كبر هذا الإثم -قديمًا وحديثًا- أهل الكتاب، فقد وجدوا في هذه الإسرائيليات والمختلقات ما يشبع هواهم، ويرضي تعصبهم الممقوت، ويشفي

(1) يراجع: الانتصارات الإسلامية (ص٦٧- ٧١).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٦١- ٦٢).

نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه وكتابه[١].

يقول القاضي عياض نقلاً عن القاضي بكر بن العلاء المالكي: «لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده»[٢].

ويقول بعد ذكر حديث -الغرانيق الذي سيأتي كمثال للاعتماد على ما هو موضوع-: «ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض المحدثين؛ ليلبس به على ضعفاء المسلمين»[٣].

ومن أمثلة اعتمادهم على ما هو موضوع:

ما ذكروا من أن النبي ﷺ كان يتمنى أن يتبعه قومه، ولكثرة تمنيه ذلك ألقى الشيطان على لسانه في سورة «النجم» حين قال: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٠]: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير، فلانوا له، وكفوا عن أذاه وأذى أصحابه... ولما علم النبي ﷺ أن ما قاله من مدح الأصنام من إلقاء الشيطان اغتم لذلك، فأنزل الله سبحانه تسلية له: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢].

---

(1) يراجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد أبو شهبة (ص٥)، مكتبة السنة، بدون تاريخ.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ١١٧)، ط/ أبو حازم عز الدين بمكة المكرمة، بدون تاريخ.

(3) الشفا (٢/ ١٢٠).

ثم قالوا: تضمنت هذه القصة باطلين:

١- الافتراء على الرسل في وصفهم بهذه المثلية من أن الشيطان تلبَّس عليهم في وحي الله سبحانه وتعالى بما يقع به الغواية والإضلال للناس.

٢- إخباره بأن للأصنام شفاعة، ومدحها بذلك، وهذا لا يصح من نبي يدعو إلى التوحيد، ونبذ الشرك، فلا يكون نبيًّا[1].

---

(1) يراجع: الانتصارات الإسلامية (ص١٣١) وما بعدها. يقول ابن حجر في رد هذا الحديث: «قال البزار: وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس. ثم قال ابن حجر: والكلبي متروك ولا يعتمد، ثم ذكر الروايات والطرق لهذا الحديث، وقال: ومعناهم كلهم في ذلك واحد، وكلها سوى طريق سعيد بن جبير؛ إما ضعيف، وإما منقطع، لكن ابن حجر اعتبر كثرة الطرق في هذا الحديث دليلاً على أن للقصة أصلاً، ولذلك لجأ إلى حملها على معنى لا يتنافى مع عصمة الرسول ﷺ وهو أنه لجأ إلى تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وذكر مسالك في التأويل منها: أن ذلك جرى على لسانه ﷺ حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، ومنها: أنه لعله قالها توبيخًا للكفار، ومنها: أنه ﷺ كان يرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكيًا نغمته، بحيث سمعها من دنا إليه فظنها من قوله ﷺ. قال ابن حجر: «وهذا أحسن الوجوه» [فتح الباري (٨/ ٥٤١)].

والبدر العيني قال في هذا الحديث: «وهذا الحديث الذي ذكر فيه، أكثر طرقه منقطعة، ولم يوجد لها إسناد صحيح، ولا متصل إلا من ثلاث طرق، ثم قال بعد أن ذكرها: وجميع هذه الأسانيد لا يحتج بشيء منها» [عمدة القاري لبدر الدين العيني (٩/ ١٠٠)]، إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها/ محمد منير أغا الدمشقي، مصر، بدون تاريخ.

ويقول الإمام الرازي بعد أن ذكر هذه القصة سببًا لنزول الآية: «هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، ثم ذكر ما يفندها من القرآن والسنة والمعقول» [يراجع التفسير الكبير (٢٣/ ٤٤)].

ويقول القاضي عياض في هذا الحديث: «ويكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به المفسرون والمؤرخون =

ومن أمثلة اعتمادهم على ما هو ضعيف أو موضوع في عصرنا: ما قاله زكريا بطرس[(١)] من أن صاحب كتاب المصاحف[(٢)] ذكر في كتابه: «أن الحجاج بن يوسف قد غير في حروف المصحف عشر كلمات، وإذا غير في القرآن دل على وقوع التحريف فيه»[(٣)].

هـ- الاعتماد على مسلمات المسلمين:

إن أهل الكتاب في إيرادهم الشبه يستخدمون مسلمات المسلمين، ويبنون عليها شبههم الباطلة، ومن ذلك ما ذكره القرطبي المحدث (ت ٦٥٦هـ) عن

=

المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم» [الشفا (٢/ ١١٧/ ١١٨)].

(1) زكريا بطرس: مصري، تخرج في كلية الآداب، جامعة الأسكندرية ١٩٥٧م، وعين كاهنًا بدرجة قس على كنيسة مار جرجس بمحافظة المنوفية، ثم ترقى إلى درجة قمص، وعمل في معظم الكنائس المصرية، ثم انتقل إلى استراليا، ثم إلى بريطانيا، حيث كنيسة السيدة العذراء ببرايتون بالمملكة المتحدة، ثم قدم استقالته في ٧/ ١٢/ ٢٠٠٠م، وقبلت في ١١/ ١/ ٢٠٠٣م، وهو يبث سمومه ضد الإسلام عبر قنوات التليفزيون، وعبر شبكة الاتصالات العامة «الإنترنت»، نقلاً من مقدمة كتاب «المخرس في الرد على القس المفلس زكريا بطرس» لمفتاح محمد فاضل، المقدمة [ح- خ- د] مركز التنوير الإسلامي، مصر، ط/ الأولى ١٤٢٧هـ.

(2) صاحب كتاب «المصاحف» هو أبو بكر بن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

(3) يراجع: «المخرس في الرد على المفلس زكريا بطرس» (ص٢٠).

وهذه رواية ضعيف جدًّا أو موضوعة؛ لأن فيها عباد بن صهيب، وهو متروك الحديث، قال علي بن المديني: ذهب حديثه، وقال البخاري والنسائي وغيرهما: متروك، وقال ابن حبان: كان قدريًّا داعية، ومع ذلك يروى أشياء إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد لها بالوضع، وقال الذهبي: أحد المتروكين. [لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٣) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٦هـ]، وينظر في الحكم عليه أيضًا: [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (٦/ ٨١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ الأولى، ١٢٧١هـ.

بعض النصارى في عصره، أورد شبهة قال فيها: «الآن وجب عليَّ أن أسألك في أمر التثليث عن خلق الله تعالى لجميع ما خلق، إن كان خلقهم بقدرة وعلم وإرادة؟ أم خلقهم بغير هذا؟

فإذا اضطرتك المسألة إلى القول بها؛ فإني سائلك: إن كانت اسمًا لذاته أو اسمًا لأفعاله؟ فإن قلت: هي أسماء لذاته؛ فقد نفقت وجعلتها أسماء للذات، ووقعت فيما أنكرت من الجسم، وإن قلت: هي من أسماء أفعاله التي منها سمي قادرًا عالمًا مريدًا، فهو التثليث الذي أمرنا بالقول به. اهـ»[1].

ومن ذلك أيضًا ما روي عن يوحنا الدمشقي[2] الذي حاول أن يطعن في كل شيء في الإسلام تقريبًا، يقول: «إذا سألك المسلم: ماذا تقول في المسيح؟ فقل له: إنه كلمة الله، ثم ليسأل النصرانيُّ المسلمَ: بم سمي المسيح في القرآن؟ وليسكت ولا يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم قائلاً: «كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه»، فإن أجاب بذلك، فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوقة؟ فإن قال: مخلوقة، فيرد عليه بأن الله كان إِذَنْ، ولم تكن كلمة الله، ولا روح، قال يوحنا: إذا قلت ذلك، فسيفحم المسلم»[3].

و- إظهار موافقتهم للمسلمين، فإذا رضي المسلمون بهذه الموافقة وعلمها الناس اتخذها أهل الكتاب مطعنًا على المسلمين.

---

(1) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (١/ ٥٨).

(2) يوحنا سرجيوس منصور، ولد في سنة ٧٧٦م بدمشق، ورسم كاهنًا في سنة ٨٤٨م وتوفي في سنة ٨٨٠م وكان له من العمر ما يزيد عن مائة سنة. يراجع: الكنز الثمين في أخبار القديسين لمكسيموس مظلوم: (١/ ٢٥٦-٢٥٨) مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، ط/ ١٨٦٣م.

(3) الجدل الإسلامي لأهل الكتاب وأثره الحضاري، د. خالد السيوطي (ص٩/ ١٠). مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

ولعل في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢] ملمحًا إلى هذا.

يقول الإمام الرازي: «إن اليهود والنصارى استخرجوا حيلة في تشكيك ضعفة المسلمين في صحة الإسلام، وهو أن يظهروا تصديق ما ينزل على محمد ﷺ من الشرائع في بعض الأوقات، ثم يظهروا تكذيبه، فإن الناس متى شاهدوا هذا التكذيب قالوا: هذا التكذيب بعد الموافقة، إنما هو لأجل أنهم أهل كتاب، وقد تفكروا في أمره، واستقصوا في البحث عن دلائل نبوته، فَلاحَ لهم بعد التأمل التام والبحث الوافي أنه كذاب، فيصير هذا الطريق شبهة لضعفة المسلمين في صحة نبوته»[(١)].

ولعل هذا ما عناه بعضهم في قوله: «أجمع المسلمون معنا على صحة شريعة موسى -عليه السلام- وأنه الصادق البر، وقد قال: تمسكوا بالسبت ما دامت السماوات والأرض[(٢)]، فلا يكون بعده رسالة أخرى، فتبطل رسالة عيسى -عليه السلام-»[(٣)].

فلو سلم المسلمون بهذه المقدمة ونتيجتها لقام عليهم نفس الدليل في إبطال شريعة محمد ﷺ والتمسك بشريعة موسى -عليه السلام-، وأنت ترى كيف يجذبون المسلمين إلى صفهم -كما في قوله: أجمع المسلمون- وما ذلك إلا ليغيروا عليهم بنفس ما سلموا به.

---

(1) التفسير الكبير (٨/ ٨٣).
(2) سفر الخروج: الإصحاح: (٣١) الفقرتان: (١٦، ١٧).
(3) الأجوبة الفاخرة (ص٧٠).

ز- تقرير ما يريدون أن يصلوا إليه وجحد ما سواه.

ومن ذلك ما روي أن أبا الهذيل العلاف (ت ٢٢٥هـ) ناظر في حداثته يهوديًّا كان ينتهز فرصة إيمان المسلمين بنبوة موسى -عليه السلام-، ويتوقف عند ذلك الحد، معتبرًا أن هذا اعتراف من المسلمين باليهودية دون أن يتطرق لنبوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأن اعترافه بهذه النبوة سليزمه الاعتراف بالإسلام.

وهاك نص المناظرة: «قدم البصرة يهودي، فناظر بها ناسًا، فقطعهم، فتقدم إليه شاب من المسلمين قال: فوجدت سبيله في المناظرة: أن يقرر المناظرين على نبوة موسى -عليه السلام-، فإذا أقروا، جحد نبوة محمد ﷺ، ويقول: نحن على ما اتفقنا عليه، إلى أن نتفق على غيره.

قال: فدنوت منه، فقلت: ما تقول؟

فقال: أخبرني، أليس موسى نبيًّا؟

فقلت: إن الذي سألتني عنه ينقسم إلى قسمين: أحدهما: أني أقر بنبوة موسى الذي أخبر بنبوة محمد ﷺ وأمر باتباعه وبشر به، فإن سألتني عنه؛ فإني أقر به.

وإن سألتني عن موسى آخر لا يقر بنبوة محمد ﷺ ولا بشر به فلست أعرفه ولا أقر به، فانقطع اليهودي»[1].

ومن الأمثلة على هذا أيضًا:

ما استدل به القس زكريا بطرس على عقيدته التثليث من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ

(1) الجدل الإسلامي لأهل الكتاب (ص٢٦) نقلاً عن عيون المناظرات للسكوني (ص٢٢٠).

عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ [النساء: ١٧١].

يقول: رسول الله؛ أي: الله الموجود بذاته = الأب.

وكلمته؛ أي: ابن الله، والله ناطق بها = الابن.

وروح منه؛ أي: روح الله = الروح القدس[1].

فهو أخذ من الآية ما يناسب هواه وجحد ما سواه، وإلا فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾ يبطل ما قرر.

ح- الهزء والسخرية:

من مسالك أهل الكتاب لكيد الدعوة الإسلامية، اتباعهم طريقة الاستهزاء بالإسلام والتهكم بشعائره وعباداته، وقد فضح القرآن الكريم مسلكهم هذا، ونهى المؤمنين عن موالاتهم ومصافاتهم، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨][2].

يقول عبد الرحمن حَبَنَّكَة -رحمه الله-: «والهزء والسخرية في الحقيقة أسلوب من أساليب تغطية النقص، ومظهر من مظاهر التنفيس عن الحقد الدفين،

---

(1) المخرس (ص١٠٤).

(2) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٢٤٠) وما بعدها.

والحسد الذي تتلظى نيرانه في القلوب، وتعبير عن الرغبة في الانتقام، والفتك متى تهيأ الظرف الملائم»[١].

ومن أمثلة ذلك: استهزاء اليهود بأن الله تعالى طلب منهم قرضًا لفقره:

أخرج الإمام ابن جرير الطبري «عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: دخل أبو بكر ﷺ بيت المدراس، فوجد يهودًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص اليهودي، كان من أحبارهم وعلمائهم، فقال أبو بكر: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله تعالى من حاجة، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما تضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم»[٢].

وأيضًا:

لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب به مثلاً؛ ضحك يهود وقالوا: لو كان هذا كلامًا لله لما ذكر فيه الذباب والعنكبوت[٣].

والله أعلم

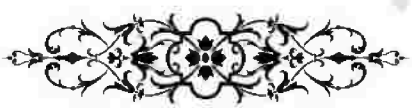

(1) مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبَنَّكة (ص٩٣)، دار القلم، بيروت، ط/ السادسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(2) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن (٧/ ٤٤١).

(3) تفسير النسفي، لابن البركات النسفي (١/ ٣٥)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.

المطلب الرابع
منهج الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب

اختلفت مناقشة الإمام القرافي لليهود -من ناحية عدد القضايا المناقشة عنها بالنسبة للنصارى، فالإمام القرافي مع اليهود لم يتعرض لقضايا كثيرة- كما سيظهر من خلال البحث، ولكن مع النصارى أتى على جل ما يخصهم من كتب، وعقائد، وشعائر، وشبهات، وغير ذلك.

ولعل السبب في ذلك: أن صولة النصارى كانت في تلك الآونة أحَدَّ وأعنف من صولة اليهود، والذي يؤكد ذلك ما كان من كتابات لهم آنذاك يطعنون بها على الإسلام والمسلمين، وما صنيع الإمام القرطبي المحدث في كتابه «الإعلام»، والإمام القرافي في كتابه «الأجوبة الفاخرة» إلا ردًّا عن كتابات لهم.

ولكن إن اختلفت المناقشة من حيث عدد القضايا، فقد اتفقت في المنهج، فالإمام القرافي في مناقشة اليهود والنصارى يسير على منهج واحد يمكن إجماله في النقاط الآتية:

١ - المطالبة بالدليل:

يطالب الإمام القرافي أهل الكتاب في أحايين كثيرة بالإتيان بدليل يثبت خلاف ما يقوله، أو يؤكد صحة ما يعتقدونه.

ومن ذلك قوله بعد أن ذكر أن التوراة كان مختصًّا بها هارون -عليه السلام- وأبناؤه من بعده، وأن بني إسرائيل لم يعلمهم موسى -عليه السلام- من التوراة إلا نصف سورة، وأن الهارونيين لم يكونوا يعتقدون حفظ التوراة واجبًا عليهم يقول: «فإن كابروا في ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة فلا يجدونه»[1].

(1) الأجوبة الفاخرة (ص٧٨، ٧٩).

ومن ذلك قوله لما تكلم عن معمودية النصارى: «فلم قلتم: إنه إذا عمد يحيى والحواريون نعمد نحن؟ فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعًا عامًّا؟»[(١)].

ويقول في بيان انقطاع سند الأناجيل: «أما أنتم فليس في أناجيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلف أناجيلكم، ولا صرح مؤلفو أناجيلكم بكلمة واحدة يقول فيها متى أو غيره: قال لي المسيح: إن الله أنزل عليه كذا... وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين»[(٢)]، ولا شك أن الإنسان إذا طولب بدليل يثبت صحة ما يعتقد، أو يبطل ما هو خلافه فعجز كان هذا تسليمًا بإقامة الحجة عليه.

٢- الأقيسة:

يستخدم الإمام القرافي في مناقشة أهل الكتاب الأقيسة لما لها من أثر بالغ في النفوس.

ومن ذلك قوله في قياس الأولى: «في التوراة أن الله تعالى قد أبدل ذبح ولد إبراهيم بالكبش[(٣)]، وذلك أشد أنواع النسخ؛ لأنه نسخ قبل فعل شيء من نوع المأمور أو أفراده، وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ، فجواز غيره بطريق الأولى»[(٤)].

ومن ذلك قوله: «والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة والإنجيل،

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص١٥٥).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص٩٨)، وينظر: (ص٣١، ٤٢).
(3) سفر التكوين: الإصحاح: (٢٢) الفقرات: (١٣، ١٤).
(4) الأجوبة الفاخرة (ص٦٠).

ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة عدلاً عن عدلٍ إلى موسى أو عيسى -عليهما السلام-، وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل، فأولى أن يتعذر التواتر»[١].

ويقول مستدلاً على جواز النسخ بدليل عقلي في صورة قياس حملي: «النسخ على وفق رعاية المصالح، ورعاية المصالح جائزة على الله تعالى ... فيكون النسخ جائزًا...»[٢].

٣- التسليم:

في أحايين كثيرة يسلم الإمام القرافي لأهل الكتاب بالأمر، ثم يبين أن هذا التسليم لا ينفعهم، بل الحجة قائمة عليهم.

ومن ذلك قوله: «سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما عيسى -عليه السلام-، لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك... فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية، فليكن الحواريون كلهم... آلهة مساويين للمسيح -عليه السلام- في الإلهية، وجميع ما نسب إليه، ولما لم يقل بذلك أحد، دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلهية عيسى -عليه السلام-»[٣].

ومن ذلك قوله: «سلمنا أنه -الإنجيل- من قوله -عليه السلام- فيحتمل أن يكون من كلام الإنجيل ومن غيره، فلا يوثق بحرف واحدٍ عندكم أنه من الإنجيل المنزل»[٤].

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص ٥٣).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص ٦١)
(3) الأجوبة الفاخرة (ص ٦٥).
(4) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٨)، وينظر (ص٥٣).

٤- فرض الأسئلة التي يمكن أن يعترض بها أهل الكتاب والإجابة عليها:

ومن ذلك قوله: «فإن قالوا: فقد كان النبيون -صلوات الله عليهم- يحكمون بها -بالتوراة- إلى زمن المسيح -عليه السلام-، وهم معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون، فإنهم وافقونا على حكم النبيين لقول القرآن: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قلنا: الجواب من وجهين: ... إلخ[(١)].

ومن ذلك أيضًا قوله: «فإن قلت: إذا كان المسموع هو الكلام النفسي فلأي شيء قال الله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]... قلت: هذا سؤال قوي، وجوابه شريف، وهو ... إلخ»[(٢)].

٥- المقارنة بين أهل الكتاب والمسلمين:

يقارن الإمام القرافي في بعض الاستدلالات أو الردود على أهل الكتاب بين ما هم عليه، وما عليه المسلمون، وهذا المقارنة تؤكد صحة دين الإسلام، كما أنها تجعل المسلم يزداد إيمانًا، وقد تجعل الكافر يقف مع نفسه عندما تعرض له الصورتان، فلعله يرجع عن تقليد أعمى، أو تعصب بغيض، ومن ذلك لما تكلم عن الخلاص عند النصارى، وأنهم يقولون: إن عيسى -عليه السلام- نزل ليخلص البشر من شرك الخطيئة، وأنه في سبيل ذلك قبض عليه، وذاق الذل والهوان، ولم يجد له ناصرًا، ومات مصلوبًا مسمرة رجلاه ويداه، ومع ذلك هو إله عندهم، يقول القرافي: «فأين هذا من قول المسلمين -الذين يجلون الله عن

(1) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٦).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٣)

الاتصاف بصفات الأجسام، ويحيلون على جنابه الكريم، أن تناله الآفات والآلام- بعث عيسى نبيًّا مكرمًا، ورفعه إليه مجيدًا معظمًا، لم يهنه بأيدي الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء!»[١].

ومن ذلك قوله بعد أن بين أن دين النصارى يأمرهم بالمسالمة وعدم القتال، وأنهم يخالفون ذلك بالقتل والإفساد مع أن دينهم لا يأمرهم بذلك، ومع ذلك يعيبون على المسلمين الجهاد مع أنه مأمور به في القرآن الكريم، يقول القرافي: «وأما نحن وكتابنا، فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره، وهم كفرته وأعداؤه، وكتابنا أوجب علينا القتال، ونص على أنه من أعظم القربات»[٢].

٦- الإمام القرافي في رده على اليهود والنصارى يعتمد -في المقام الأول- على الكتب المقدسة عندهم.

٧- الإمام القرافي في ذكره الأدلة من كتب أهل الكتاب أحيانًا يذكر نص الدليل -وذلك في الغالب- إذ كان الدليل مختصرًا، وأحيانًا يذكر الدليل بالمعنى، وذلك إذا كان ذكره يحتاج إلى نصوص طويلة.

٨- كما أنه في أحايين كثيرة يحدد موضع الدليل، فمثلاً يقول: «في السفر الأول من التوراة كذا، في إنجيل متى كذا، وفي أحايين أخرى لا يحدد موضع الشاهد، فيقول مثلاً: في التوراة كذا، في الإنجيل كذا».

٩- يذكر الإمام القرافي الشبهة ويفندها، ثم يذكر أدلة أخرى تبطل الشبهة، فتكون الأدلة كالوابل بعد الطل، أقوى في الإقناع، وألزم في الاقتناع.

---

(1) الأجوبة الفاخرة (ص ١٠٤).

(2) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٨، ٨٩)، وينظر: (ص ٧٦) وما بعدها (ص ١٥٥)

١٠- توظيف اللغة في المناقشة:

يوظف الإمام القرافي اللغة العربية في مناقشة أهل الكتاب، وذلك عندما يكون سبب اللبس على أهل الكتاب راجعًا إلى أمر نحوي أو لغوي جهلوه، أو يكون النصارى قد اقتصروا على معنى واحد من عدة معان تحتملها اللفظة محل الدليل أو نحو ذلك.

ومن ذلك قوله في الجواب عن استدلال أهل الكتاب بأن المراد من قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] هو الإنجيل: «اعتمادًا على أن «ذلك» للبعيد: «وأما الإشارة بذلك التي اغتربها السائل، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال: ذا للقريب، وذلك للمتوسط، وذلك للبعيد، لكن البعد والقرب يكونان تارة بالزمان، وتارة بالمكان، وتارة بالشرف، وتارة بالاستحالة»[1]، ثم طبق هذه الأوجه الأربعة على القرآن الكريم.

ومن ذلك قوله ردًّا على استدلال النصارى بما في القرآن الكريم من وصف عيسى -عليه السلام- بكونه روحًا وكلمة، على صحة قولهم بأن عيسى روح الله وكلمته اللذان هما طرفان في التثليث «الأب، الابن، الروح القدس»: «الروح: اسم للريح الذي بين الخافقين... واسم لجبريل -عليه السلام-، وهو المسمى بروح القدس، والروح: اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني، والكلمة: اسم للفظة المفيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفساني... وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات... وإذا كانت الروح والكلمة لهما معانٍ عديدة، فعلى أيها يحمل هذا اللفظ؟ وحمل النصراني اللفظ على

(1) الأجوبة الفاخرة (ص ٢٠).

معتقده تحكم بمجرد الهوى»[(١)].

١١- الاستدلال بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن ذلك قوله ردًّا على ما جاء في التوراة من أن سليمان بن داود -عليهما السلام- ختم عمره بالكفر «كذبوا، قاتلهم الله، أنى يؤفكون، وصدق الله العظيم وكتابه الكريم: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٢][(٢)].

ومن ذلك قوله: «بل عظم القسيسون أنفسهم حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام: إن غفران أحدنا لكم غفران الله، وحرمانه حرمان الله، وإن أعطينا القربان قبله الله، وإن لم نعطه لم يقبله الله... فعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، بل الحق ما قاله رب العالمين: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨][(٣)].

ومن ذلك قوله في رد ما جاء في توراة اليهود من أن إبراهيم -عليه السلام- عندما حضرته الوفاة ورث ماله ولده إسحاق وحرم سائر أولاده، «فكيف يجعل إبراهيم -عليه السلام- وهو خليل الرحمن هذا المؤلم خاتمة عمله عند حضور أجله، وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله -عليه السلام-: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة**»[(٤)]، فيجزم بكذب ما حكاه

(1) الأجوبة الفاخرة (ص ١٤)، وينظر أيضًا: (ص ٣١).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص ٨٧، ٨٨).
(3) الأجوبة الفاخرة (ص ١٥٧).
(4) أخرجه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب، ك: الجهاد والسير، باب: حكم الفي، حديث رقم (١٧٥٧)، (٣/ ١٣٧٥).

اليهود»[1].

وإذا كان للإمام القرافي منهجه في الرد، فهل هو متأثر في ردوده بأحد سبق، أو هو أصيل في ذلك؟ وهل أثر في أحدٍ جاء بعده أو لا؟ هذا ما ندع السطور القادمة تجيب عنه.

والله أعلم

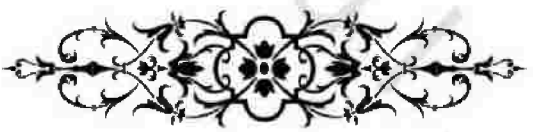

(1) الأجوبة الفاخرة (ص ١٥٠).

obeikandl.com

المطلب الخامس
القرافي بين التأثير والتأثر

أولاً: تأثر القرافي بمن سبقه:

لم يشر الإمام القرافي في رده على اليهود والنصارى -ولو مرة واحدة- إلى أنه أخذ من غيره، ولكن خلال البحث تبين لي أنه يأخذ من السابقين قبله، فهو يأخذ من السموأل، كما أنه يأخذ من أبي عبيدة الخزرجي، ويأخذ من القرطبي، وأكثر أخذه من أبي البقاء الجعفري، ومن قارن كتاب الأجوبة الفاخرة للقرافي، وكتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لأبي البقاء الجعفري، تبين له ذلك.

فمن أمثلة أخذ القرافي من السموأل:

١- يقول السموأل في إثبات تحريف التوراة: «علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى ألبتة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يثبتها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي... ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها ها أزينو... ولم يكن حفظ التوراة فرضًا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة»[1].

ويقول القرافي: «إن أحبار اليهود يعلمون علمًا يقينًا أن هذه التوراة ليست المنزلة على بني إسرائيل بعينها؛ بسبب أن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ومنعها منهم، وخص بها... أولاد ليوي.. ولم يبذل موسى عليه السلام لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها هاأزينو... ثم إن الهارونيين الذين خصوا

(1) بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى المغربي (ص١٣٥) وما بعدها، ت/ د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط/ الثالثة، ١٩٩٠م.

بالتوراة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة»[١].

٢- يقول السموأل في رده على اليهود في إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام: «أليس في التوراة التي في أيديكم... (لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح)[٢]، ولا يقدرون على جحده، أفما علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة، وملك إلى ظهور المسيح عليه السلام، ثم انفض ملككم؟ فإن لم يكن لكم اليوم ملك، فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل»[٣].

ويقول القرافي: «إن نص التوراة يقتضي نبوته عليه السلام، وهو أن فيها.. لا يزال الملك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح وكذلك كان، ما زالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح عليه السلام، ثم صاروا ذمية محقورة، ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه، وهو دليل قاطع على نبوته عليه السلام»[٤].

ومن أمثلة أخذه من أبي عبيدة الخزرجي:

١- يقول أبو عبيدة الخزرجي في بيان أن التوراة -الموجودة في وقته- أصابها التبديل والتحريف: «واليهود تقر أن السبعين كاهنًا، اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة، وذلك بعد المسيح... ومن رضي تحريف موضع في كتاب الله، فلا يؤمن منه تحريف الكثير»[٥].

---

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٨).

(2) لم أجد هذا النص في التوراة التي تحت يدي بنسختيها البابلية والسامرية، ولم أجده أيضًا في قاموس الكتاب المقدس.

(3) بذل المجهود: (ص١٠٢).

(4) الأجوبة الفاخرة (ص٧١).

(5) بين الإسلام والمسيحية (ص٢٩٠).

ويقول القرافي: «إن اليهود تعترف بأن سبعين كاهنًا، اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة بعد المسيح عليه السلام... ومن اجترأ على تبديل حرف من كتب الله تعالى، وتحريفه، لا يوثق به فيما يدعي أنه كتاب الله تعالى؛ إذ لعله مما حرفه»[(١)].

٢- يقول الخزرجي: «وكذلك يقرون أن السامرية -وهي فرقة منهم- حرفت التوراة تحريفًا بينًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به؟»[(٢)].

ويقول القرافي: «طائفة من اليهود يقال لهم: السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفًا شديدًا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به؟»[(٣)].

ومن أمثلة أخذه عن القرطبي:

١- يقول أبو العباس القرطبي مصورًا مذهب النصارى في تركهم الختان: «وقد وجدت في كتبهم الفقهية: أنهم قالوا في تأويل حكم الختان قولاً أتوا فيه على التوراة بالباطل والبهتان، قالوا: إنما عنى بالختان: نقاوة القلوب، وصفاء النية، وذهاب الغلوفة... ولذلك علمنا أن الله استقذر غلوفة القلب، وليس غلوفة اللحم، فما على الإنسان أن يختن لحمه، إذ لا منفعة له في ذلك، فمن شاء اختتن، ومن شاء ترك، والأحسن: أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة كما خلقنا

---

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص٨٦).

(2) بين الإسلام والمسيحية: (ص٢٩٠).

(3) الأجوبة الفاخرة: (ص٨٦) ويقارن: بين الإسلام والمسيحية: (ص١٩١، ١٩٩)، الأجوبة الفاخرة: (ص٢٧، ٥٤).

الله عز وجل»[١].

ويقول القرافي: «وقد وقع في كتبهم الفقهية تأويل للختان، التزموا فيه على التوراة بالباطل والبهتان، فقالوا: المراد بالختان في التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب...، وأما غلوفة اللحم، فلا مضرة فيها، بل الأحسن ترك الأجسام، كما خلقها الله تعالى»[٢].

٢- يقول الإمام القرطبي في رده على النصارى قولهم: إن الختان لا فائدة فيه: «إنهم سفهوا أحكام الله ورسل الله، حيث قالوا: لا منفعة في ذلك، مع أن الله قد حكم به، وشرعه، وبلَّغ ذلك أنبياؤه ورسله»[٣].

ويقول القرافي: «إنهم سفهوا أحكام الله ورسل الله، حيث قالوا: لا منفعة في ذلك، مع أن الله قد حكم به، وبلغته رسوله وعملوا به»[٤].

٣- يقول القرطبي: «اعلم أن هؤلاء القوم وضعوا لأنفسهم قوانين.. من غير أن يشهد بصحة تلك القوانين شاهد من توراة، ولا من إنجيل، فمن خالفها عندهم سموه خارجيًا تارة، وكافرًا أخرى، والخروج عن تلك الذنوب هو الذنب عندهم، ثم تلك الذنوب منقسمة إلى ما يغفرونه، وإلى ما لا يغفرونه»[٥].

ويقول القرافي: «وضعت النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة والإنجيل، ومن خالفها سموه خارجًا تارة، وكافرًا أخرى، والخروج عن

---

(1) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام: (ص٤٢٠).
(2) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٤).
(3) الإعلام: (ص٤٢١).
(4) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٥).
(5) الإعلام: (ص٤٠٥).

قوانينهم ذنوب، وتنقسم إلى ما لا يغفرونه، وإلى ما يستقلون بغفرانه»[(١)].

ومن أمثلة أخذه عن أبي البقاء الجعفري:

١- يقول أبو البقاء الجعفري: «فقد قال النبي إشعياء في نبوته: يا معشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس له فضة فليذهب يمتار ويستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن»[(٢)] قلت: وذلك موافق لقول الله تعالى: ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [محمد: ١٥][(٣)].

ويقول القرافي: «في نبوة إشعياء عليه السلام: يا معاشر العطاشى الجياع، توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس له فضة فليذهب يستقي، ويأكل، ويتزود من الخمر واللبن، موافقة لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [محمد: ١٥]»[(٤)].

٢- يقول الجعفري: «ذكر يوحنا -الذي هو أصغر الأربعة سنًا- (أن أول آية أظهرها المسيح تحويل الماء خمرًا)[(٥)] ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك، وإن

---

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص١٥٥-١٥٦).

(2) سفر إشعياء: الإصحاح (٥٥) الفقرة (١).

(3) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، لأبي البقاء الجعفري: (١/ ٢١٥) رسالة دكتوراة منشورة، دراسة وتحقيق، د/ محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ الأولى، ١٤١٩هـ.

(4) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٦).

(5) إنجيل يوحنا: الإصحاح (٢) الفقرات: (١-١١).

أغفلوا مثل هذه الآية مع شهرتها دل ذلك على غفلة عظيمة وقلة اعتناء بأمر الدين، وإذا كانت لم تصح عندهم، فتحرجوا من تسطيرها، فيكف ثبتت من الإنجيل بقول واحد، وشرط ثبوت كلام الله التواتر؟»[١].

ويقول القرافي: «قال يوحنا -وهو أصغر الأربعة- إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام تحويل الماء خمرًا، ولم يذكرها الثلاثة، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت لم تصح عندهم، فكيف ينقل الدين عن شخص واحد، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟»[٢].

لكن الإمام القرافي وإن أخذ عمن سبقه، فإنه في أحايين كثيرة، لم يكن يأخذ بدون أن يضيف فائدة، أو زيادة لم يذكرها من أخذ عنه الإمام القرافي، تلك الزيادة التي تحفظ للقرافي شخصيته، وتثبت أنه لم يكن كحاطب ليل، في أخذه من غيره، كما أن القرافي في نقله عن غيره يبسط ما يحتاج إلى بسط، ويوضح ما فيه غموض ومن أمثلة ذلك:

١- ذكر الإمام القرطبي للختان فوائد أربعة:

- أنه عبادة في بدن الإنسان، إذا فعلها أثيب، وإن تركها عوقب.

- أن تركه لا يمكن معه المبالغة في النظافة.

- أنه ألذ عند الجماع، وأسرع لمجيء شهوة الوقاع.

- أن خروج الماء الدافق مع الختان يكون أشد، مما يجعله يصل إلى محل

---

(1) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(2) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٣، ٢٤)، ويقارن: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١٢٠، ١٢٢، ١٣٢، ٤٨٦-٤٩٢، ٢/ ٦٥٢)، بالأجوبة الفاخرة: (ص٦٥، ٦٦، ٦٧، ١٠٩، ١١٠، ١٦٣) ويراعى ترتيب الصفحات في الكتابين.

التخليق، فيحصل الولد، بخلاف لو كان غير مختون[١].

وهذه الأوجه الأربعة ذكرها الإمام القرافي بعبارة فيها إفصاح وبيان عما ذكره القرطبي، وزاد للختان فائدة أخرى لم يذكرها القرطبي وهي:

أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان، وأياد امتنان، وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها، ولا يبقى لها أثر في الوجود إلا الختان، فإنه يبقى مخلدًا في الجسد إلى الممات، يقول القرافي: «وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقي الإنسان على توجه الأمر الرباني عليه، وأنه حاز شرف الإنابة، والطاعة لديه... إلخ»[٢].

٢- يقول أبو البقاء الجعفري: «ذكر متى (أن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماتان)[٣] وذكر لوقا غير ذلك فقال: (أقام يسوع ثلاثين سنة وهو يظن أنه ابن يوسف بن هالي)[٤] يقول أبو البقاء: وهذا تناقض عجيب»[٥].

ويقول القرافي بعد أن ذكر قول متى، وقول لوقا: «وهو تكاذب» ثم أضاف: ثم إن قضية عيسى عليه السلام في كونه ولد من غير أب كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل، حتى آذوا مريم عليها السلام إيذاءًا عظيمًا، برميها بالزنا ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى عليه السلام ذلك ثلاثين سنة؟[٦].

وإضافات القرافي كثيرة غير هذين الموضعين، سيأتي لها مزيد بيان في ثنايا

---

(1) يراجع: الإعلام (ص٤٢١).
(2) الأجوبة الفاخرة: (ص١٢٥).
(3) إنجيل متى: الإصحاح (١) الفقرة: (١٦).
(4) إنجيل لوقا: الإصحاح (٣) الفقرة (٢٣).
(5) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: (١/ ٢٩٣).
(6) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٤).

الحديث عن جهود الشيخ.

ولا يمنع أخذ القرافي عن غيره، أن تكون له جهود لم يسبق إليها، ستتضح من خلال البحث إن شاء الله تعالى.

ثانيًا: تأثير القرافي فيمن بعده:

تأثر القرافي من اللاحقين عدد لا بأس به من عمد علماء الأديان، ومن هؤلاء ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والألوسي بن الألوسي المفسر، والباجي زاده -رحم الله الجميع- وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين: فمنهم من يصرح بالأخذ عن القرافي، وهو الألوسي والباجي زاده، ومنهم من لا يصرح مثل ابن تيمية وابن القيم.

ومن أمثلة أخذ ابن تيمية عنه:

يقول الإمام القرافي: «قال إشعياء: قيل لي: قم ناظرًا، فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: تسقط بابل وأصنامها للمنحر[1] -يقول:- فراكب الحمار المسيح عليه السلام، وراكب الجمل محمد عليه السلام، فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح عليه السلام بركوب الحمار، ومحمد عليه السلام أسقط أصنام بابل، وغيرها»[2].

ويقول ابن تيمية بعد ذكر بشارة إشعياء: «فراكب الحمار هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد ﷺ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار،

(1) سفر إشعياء: الإصحاح (٢٠) الفقرات (٦-١٠).
(2) الأجوبة الفاخرة (ص١٧٢).

وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل»[(١)].

ومن أمثلة أخذ ابن القيم عنه:

١- يقول القرافي في بيان أثر استيلاء الأمم على بني إسرائيل في ضياع التوراة: «وما زالت الأمم التي استولت عليهم كالشدابين[(٢)] والبابليين[(٣)] والفرس، واليونان، والنصارى، يقصدونهم أشد قصد، ويطلبون استئصالهم، وخراب بلادهم وحرق كتبهم، حتى جاء الإسلام»[(٤)].

ويقول ابن القيم: «... ولكثرة الأمم التي استولت عليهم من الكلدانيين والبابليين، والفرس، واليونان، والنصارى... وما من هذه الأمم إلا من طلب استئصالهم، وبالغ في إحراق بلادهم وكتبهم...»[(٥)].

٢- يقول الإمام القرافي في رده على النصارى دعوى صلب المسيح عليه السلام: «من المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض، والرفع والخفض؟ وهل دنفت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله، أم خذلته وهربت مع التلاميذ؟ فإن دفنت فإن القبر الذي وسع الكلمة لقبر عظيم، وإن أسلمته وذهبت، فكيف

---

(1) الجواب الصحيح: (٣/ ٢٦١).

(2) لم أصل إلى معرفتهم في كتب البلدان والأنساب، ولعلهم الكلدانيون، بدليل عبارة ابن القيم؛ لأنه ذكر نفس كلام الإمام القرافي، وذكر مكان الشدابين، الكلدانيين، والكلدانيون: هم الذين سكنوا بابل في الزمن الأول. معجم البلدان (١/ ٣٠٩).

(3) البابليون: سكان أهل بابل، وبابل مدينة بالعراق، تضم مدنا عدة، منها الكوفة، كان عرضها اثنى عشر، فرسخًا، وطولها مثل ذلك، لم تزل عامرة حتى خربها الإسكندر: يراجع معجم ما استعجم (١/ ٢١٨)، معجم البلدان (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(4) الأجوبة الفاخرة: (ص٧٩).

(5) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم: (٦٦٩)، ت/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة التقوى، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟»[١].

ويقول ابن القيم: «من كان يدبر أمر السموات والأرض؟ ... ويا عجبًا: هل دفنت الكلمة معه، بعد أن قتلت وصلبت؟ أم فارقته، وخذلته أحوج ما كان إلى نصرها؟ ... وكيف يصح مفارقتها له بعد أن اتحدت به، ومازجت لحمه ودمه؟ ... ويا عجبًا أي قبر يسع إله السموات والأرض؟»[٢].

ومن أمثلة أخذ الألوسي عنه:

قوله في بيان ما فعله بولس في النصرانية: «فاسمع شرح حاله مما قاله العلامة القرافي في الأجوبة الفاخرة بما لفظه...»[٣].

ويقول في الرد على إنكار النصارى للختان: «قال القرافي... فانظر كذبهم على الله تعالى»[٤] وتصريح الباجي زاده بالأخذ عن القرافي كثير في الجواب الفسيح.

ومن أمثلة أخذ الباجي زاده عن القرافي:

١- قال القرافي في بيان تناقض الأناجيل: «قال لوقا: (قال جبريل الملك لمريم بناصرة: إنك ستلدين ولدًا اسمه يسوع، يجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب)[٥] يقول القرافي: وكذبه يوحنا وغيره، فقال: بل حمل

---

(1) الأجوبة الفاخرة: (ص١٠٨، ١٠٩).

(2) إغاثة اللهفان: (ص٦١٨، ٦١٩)، ويقارن: الأجوبة الفاخرة: (ص٧١)، وإغاثة اللهفان: (ص٦٥٨).

(3) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، للألوسي: (٢/ ٣٣١) وما بعدها، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي، القاهرة، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.

(4) الجواب الفسيح: (٢/ ٣٣٥)، وينظر: (٢/ ٧٤٨-٧٥٤، ١/ ٥٨٧).

(5) إنجيل لوقا: الإصحاح (١) الفقرات: (٣١-٣٤).

يسوع -هذا الذي وعده الله بالملك-إلى القائد بيلاطس[١]، وقد ألبسه شهرة الثياب، وتوجه بتاج من الشوك، وصفعوه، وسخروا منه، وفاوضه بيلاطس طويلاً، فلم يتكلم[٢] يقول القرافي وهو تناقض فاحش: أحدهما يجعل يسوع عليه السلام ملكًا عظيمًا لبني إسرائيل، والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة...»[٣].

يقول الباجي زاده بعد أن ذكر ما ذكره لوقا ويوحنا بعبارة قريبة جدًا من عبارة القرافي: «وهذا لا شك فيه تناقض فاحش، فإن إنجيلاً يجعله ملكًا عظيمًا لبني إسرائيل، وآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة...»[٤].

٢- قال القرافي: «قال لوقا: (لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود، ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متواترًا، وصار عرقه كعبيط الدم)[٥] يقول القرافي: ولم يذكر ذلك متى، ولا مرقس، ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه الفرائض والأحكام، وإن كان الترك صحيحًا، فتكون الزيادة كذبًا في النسخ الأخرى»[٦].

ويقول الباجي زاده بعد أن ذكر قول لوقا: «ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس

---

(1) سادس والٍ على اليهودية من قبل طيباروس قيصر، وهو القائد الروماني الذي تمت عملية الصلب في وقته، تولى ست سنين قبل حادثة الصلب، وأربعًا بعدها، يراجع: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، د/ وليم إدي، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ط/ ١٩٧٣م.

(2) إنجيل يوحنا: الإصحاح (١٩) الفقرات: (١-١٠).

(3) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٣).

(4) الفارق بين المخلوق والخالق، للباجي زاده: (ص١٣) تصحيح ومراجعة: عبد المنعم فرج درويش، مطابع البيان التجارية، دبي، ط/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(5) إنجيل لوقا: الإصحاح (٢٢) الفقرات (٤٣-٤٥).

(6) الأجوبة الفاخرة: (ص٢٣).

ولا يوحنا، فإذا تركوا ذلك لا يؤمن أن يتركوا ما هو الأهم من ذكر الأحكام، وإن كان الترك صحيحًا فتكون الزيادة كذبًا محضًا»[١].

ويقول الباجي زاده معقبًا على قول بعض النصارى في زمانه: إن المسلمين لم يأت أحد منهم ببرهان يبطل حجية الأناجيل، ويمنع التمسك بها: «أيظن أن الناس عميان؟ أو اعتراهم داء النسيان من كتب الردود كابن تيمية، والقرافي ...؟»[٢].

ولا شك أن كلامه هذا فيه إشارة إلى أنه رجع إلى القرافي وأخذ عنه: وإذا أضيفت الإشارة إلى النقلين السابقين انتقل الحال من الإشارة إلى التصريح.

وبعد،،،

فقد استبان مما سبق أن الإمام القرافي رحمه الله تعالى، تأثر بمن سبقه من العلماء، وأثر فيمن جاء بعده، وتلك سنة الله أن المرء يتأثر، ويؤثر، وما ذكر من أمثلة تبين تأثر القرافي وتأثيره، إنما قصد به الإشارة، وليس الاستقصاء، وأما الاستقصاء لهذه الجزئية فهو منثور بين ثنايا بقية البحث، وندع الصفحات القادمة تخبرنا عن ذلك شيئًا فشيئًا.

والله المستعان

---

(1) الفارق بين المخلوق والخالق: (ص١٣)، ويقارن الأجوبة الفاخرة: (ص٢٤، ٥٤) بالفارق بين المخلوق والخالق: (ص١٤، ٢٨٧).

(2) ذيل الفارق للباجي زاده: (ص٢٩) مطبوع نفس طبعة الفارق السابقة.